

طقوس وعادات العرس في الموروث الشعبي المغربي من خلال الأمثال والحكم والمرددات

Hocine REYOUCHE BELLAHSSANE

الحسين ريوش بلحسن

أستاذ مادة التاريخ، جامعة محمد الأول بوجدة — المملكة المغربية

البريدي الإلكتروني: bellahssane@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإيداع
2019/12/01	2019/06/10	2019/05/27

الملخص:

تعتبر حفلة الزفاف من مناسبات الأفراح التي تجر معها تاريخا ثقيلًا وملينًا بالمعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فالعرس كان ولا يزال مناسبة لترسيخ التكافل بين أفراد المجتمع سواء من خلال الهدايا التي يقدمها الأقارب والأصدقاء والجيران لأهل العرس، أو من خلال "لغرامة" التي تعطى للعروس والعريس، وهو أيضا مناسبة لتلئين القلوب وحل الخلافات الفردية والجماعية. كما أن العرس، ولاسيما ليلة الدخلة، هو من الذكريات السارة التي تبعث على الارتياح النفسي. ومن جهة أخرى فإن حفلة الزفاف تجسد التفاوت الطبقي الذي ميز المجتمع من حيث المستوى المعيشي والذي يتجلى في عدد ونوعية وجبات الطعام، وفي الأثاث والأواني المستعملة في الأعراس، وفي قيمة المهر وتجهيزات العروس وكذلك من خلال طريقة الأكل.

ومن جانب آخر فإن العرس هو مناسبة تعكس نوع النظام السياسي وتنظيمه الإداري والعسكري، كما أن بعض عاداته وطقوسه هي امتداد تاريخي لإرث حضاري موروث عن أسلافنا ع أو مستمد، وفي بعض منه، من شعوب أخرى، وهي بالتالي تؤكد أن المجتمع المغربي ظل مفتحا على غيره ولم يكن يوما ما مغلقا بشكل تام بل تبادل التأثير والتأثر مع شعوب وحضارات أخرى.

الكلمات المفتاحية: العرس ؛ ليلة الدخلة ؛ الصداق.

Rituals and customs of the wedding in the Moroccan popular heritage through proverbs, governance and popular hesitations.

Abstract:

The wedding party is a joyous occasion with a history that is heavy and full of social, political and economic data. The wedding was and still is an occasion to consolidate solidarity among members of the society, whether through gifts from relatives, friends and neighbors to the people of the wedding, or through the "fine" given to the bride and groom, which is also an occasion to soften hearts and resolve individual and collective differences. The wedding, especially the night of "Dakhla", is a pleasant reminder of psychological

satisfaction. On the other hand, the wedding ceremony reflects the class inequality that characterized the society in terms of standard of living, which is reflected in the number and quality of meals, in furniture and utensils used in weddings, in the value of the dowry and the bride's equipment as well as through the way of eating. On the other hand, the wedding is an occasion that reflects the type of political system and its administrative and military organization, and some of its customs and rites are a historical extension of the cultural heritage inherited from our ancestors or derived, in some of them, from other peoples, thus confirming that Moroccan society remained open to others. It has never been completely closed, but rather the exchange of influence and influence with other peoples and civilizations.

Keywords : *Wedding ; Weddin night ; the dowry.*

تمهيد:

تختلف مناسبات الأفراح عند الشعوب باختلاف الديانات والمواقع الجغرافية والمخلفات الحضارية. ويعتبر العرس والعقيقة والختان والأعياد الدينية والوطنية ومواسم جني المحاصيل... من بين أهم هذه المناسبات. وسأحاول من خلال هاته الدراسة استحضار أهم طقوس وعادات حفلة الزفاف وأهميتها التاريخية بدولة المغرب الأقصى، مركزا في ذلك على الأمثال والحكم والمرددات الشعبية.

1 – هاجس العرس حسب الأمثال الشعبية:

يقول المثل الشعبي المغربي: "الزواج والموت هم لا يفوت"، أي لا بد منها لكل إنسان. والزواج يتطلب إقامة حفلة تسمى العرس أو الزفاف عند العرب، و"أورار" عند الأمازيغ. ويمر العرس بالمغرب الأقصى بعدة مراحل: الخطوبة أو "تعرّيقه"⁽¹⁾، و"مشيخه" أو "ملاك"، و"بطو" أو "لبدي"، وليلة الحناء، ويوم الهدايا، وليلة السهرة، ويوم "لعوايد" أو يوم الخبز، و"حب الروس" أي تقبيل الرؤوس.

تطلق الاستعدادات للعرس مباشرة بعد الخطوبة لأن "زواج ليله تدبيره أو تخمامه عام"، و"هم الضررس ولا هم العرس": أي أن ألم الضررس أسهل وأخف بكثير من الهم والوجع الذي يحدثه التفكير في العرس في رأس الإنسان، و "غير أجبي وجيب الطام". الطام: طامو، طامة، مثل فطوم، فاطم، فاطمة. وهي من أسماء النساء: أي يجب التفكير في الأمور قبل الحسم فيها وعدم استسهالها، ويقال أيضا لأن حفلة الزفاف تتطلب التفكير في الزوجة المناسبة لمركز الزوج الاجتماعي ماديا وثقافيا وخلقيا حتى يحصل الانسجام،

وحفلة الزواج تتطلب مصاريف كثيرة يجب توفيرها وتبديرها حتى يكون العرس حفلة فرح وأكل وشراب وليس عرس "أَلَمَّا وَالزَّغَارَتَ (الزغاريد)" أي لا أكل ولا شرب فيه إلا ما تسمعه من الزغاريد والضرب على الطبل أحيانا. وأيضا: "أَلَلِّي قَالُ الْعَرَسُ سَاهِلُ يَسْقِي لَهُ غَيْرُ أَلَمَّا، وَالْعَرَسُ اسْمُهُ الْهَرَسُ"، وهو مثل يقال في الديون التي تخلفها حفلة الزفاف بالنسبة للفقراء، ولذلك تنصح الأمثال الشعبية باختيار الزوجة المناسبة للزوج اجتماعيا وبعدم إنفاقه فوق طاقته في حفلة الزفاف حتى لا يسقط في ديون هو في غنى عنها كما في هذا المثل: "مَسْكِينُ اخَذَ مَسْكِينَهُ وَتَهَنَّاتُ لَمَدِينَهُ"، أو "لَبَسَ قَدَّكَ إِيَّاتِيكَ".

2 – "البُدِيَّة" و"الدَّفُوعُ" وحمل العروس:

يبتدئ العرس بصفة رسمية بالعادة المسماة "بَطُّو" عند الأمازيغ و "البُدِيَّة" عند العرب، وخلالها يتم ذبح شاة وترشُ عتبة الباب أو حصائر مدخل الخيمة بالدم لطرده النحس وليبارك الله للزوجين، وفي هذا يقول أكبيل السُّوسي⁽²⁾:

ورشهم بالدم فوق الباب *** من بدع ليس بالصواب.

ثم تعلق راية⁽³⁾، يُطلق عليها في الثقافة الشعبية "عَلَامُ النَّبِيِّ"، فوق المنزل أو فوق حمّار الخيمة حيث تلتصق قطعة قماش، تكون في الغالب ذات لون أبيض أو أخضر، في قصبة اشهارا بالعرس ولتتميز مكانه (منزل أو خيمة) عن باقي المساكن⁽⁴⁾. وفي المساء يتم إعداد وجبة "الشَّرْشَم" من القمح الصلب أو الطري يحضرها أقرباء وجيران العريس.

ويسمى اليوم الثاني بـ "الدَّفُوعُ"، وخلالها تتكلف عائلة العريس بإقامة وجبة غذاء في دار العروس حيث ينطلق الموكب صباحا من دار العريس محملا بكل احتياجات ولوازم الغذاء، ولباس العروس وأمها وجدتها⁽⁵⁾، وكل ذلك فوق قافلة من الدواب، - قبل ظهور وسائل المواصلات الحديثة- والنساء يغنين ويزغردن⁽⁶⁾، وفي بعض الأحيان يكون الموكب مصحوبا بالموسيقيين المعروفين بـ "الشَّيُوخُ"⁽⁷⁾ أو بـ "الطَّبَّالَه وَالْغَيَّاطَه" الذين يستعملون "البَنْدِير" (الطبل)⁽⁸⁾ و"الغَايطة"⁽⁹⁾ (المزمار). وعند الاقتراب من منزل العروس، ترتفع الزغاريد ويزداد غناء النساء إعلانا بوصول الوفد. ومن بين ما كان يتم ترديده من أغاني:

أَرْحَنَّا جِينَا لَا تَقُولُوا مَا جِينَا *** أَفْرُشُوا وَأَعْطِينَا لَوْجَابُ

بمعنى لقد وصلنا فاستقبلونا أحسن استقبال.

وأیضا :

"هَنَا طَاحُ الْوِيزْ، هَنَا نَدُورُوا عَلِيْهِ"

أي هنا يوجد الذهب وسنبحت عنه لنأخذه، والذهب هنا كناية عن العروس.

بعد وجبة الغذاء يبدأ تجهيز العروس لمراسيم الحناء، حيث يجلسونها فوق كرسي⁽¹⁰⁾، إن وجد أو على طاولة، أو فوق الوسائد أو تكفي بالجلوس فوق الأرض تحت الرِّحْل (رحل الخيمة) أو في فناء المنزل وهي محاطة بالنساء، ثم يدخل العريس رفقة بعض أصدقائه ويجلس بجانبها والجميع يردد:

آلَاهُ لَعْرُوسَهُ خَمْسَهُ وَخَمِيسُ عَلِيْهَا *** آلَاهُ لَعْرُوسَهُ جَا لَعْرِيسُ يَدِيْهَا

آلَاهُ لَعْرُوسَهُ رَبِّيْ عَطَاكَ الزَّيْنُ *** أَنْتِ اللَّيْ هَبْلَتْ كَاغْ ذُوْكَ الْحَاسِدِيْنَ

آلَاهُ لَعْرُوسَتَهُ وَرَدَهُ فَالْكَاسُ *** آلَاهُ وَلَعْرِيسُ عَلِيْهَا عَسَّاسُ

أَدَاتُوْ وَدَاَهَا *** وَاللهُ إِمَّا خَلَاَهَا ⁽¹¹⁾

وبعد ذلك تشرع "النَّكَافَةُ"⁽¹²⁾ في وضع الحناء للعروس وزوجها وللنساء، ولاسيما

العازبات منهن، وخلالها يلبس العريسين الخواتم لبعضهما البعض، ويتبادلان شرب الحليب⁽¹³⁾ والنساء يزغردن ويغنين:

لَحْلِيْبُ وَالْكَاطُو *** لَعْرِيسُ وَأَمْرَاتُو

أَهْذِ الْحَنَّا جَاتْ مَنْ مَكَّةَ *** اللَّيْ دَارَهَا فِيْهَا الْبَرْكَه

"اللِّي كَتَحَنِّي زَوْقِي الْبِيْدِيْنَ *** أَوْخَلَصَكِ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ

اللِّي كَتَحَنِّي وَأَشْ كَمَلْتِي *** الْخَبْرِيْ وَشْتِ دَرْتِ

وأیضا:

لَعْرُوسَهُ دَايْرَهُ لِحَنَانِي وَتَشُوفُ يَدِيْهَا *** أَمِنْ الْعَيْنِ رَبُّ يَحْظِيْهَا

زَوْقُوا يَا لَبَنَاتُ زَوْقُوا بِالْحَنَّا *** لَعْرِيسُ الْعُرُوسُ دَاخِلِيْنَ لَجَنَّهُ

ثم تشرع البرّاحة في جمع الهدايا والتبرعات العينية والمادية، مع ذكر اسم المتبرعة أو المتبرع وقيمة الهدية ونوعيتها، وكلما انتهت تترعد النساء. ومن بين ما كانت تقوله البرّاحة: "جأت بركات، هذه هديّة (يتم تسميتها) من عند فلان أو فلانة (يتم ذكر اسم المتبرع)، الله يخلف وبارك، والعقبه له أو لها": أي هذه هدية من فلان أو فلانة، فاللهم اخلف لهما أكثر وبارك للعروسين، والعاقبة لغير المتزوجين. وبعد الانتهاء من مراسيم الحناء، ينصرف العريس وتبدأ "النكافة" في تزيين العروس وإلباسها ثيابها⁽¹⁴⁾، وخلالها تقوم وتقع ثلاثاً، استعداداً لإخراجها كما يلح من هذه الأغنية:

مَشْطِي مَشْطِي مَشْطِي دَلِّي لَهَا *** وَالْعُرُوسَه رَايَحَه لَدَارَهَا.

ثم يعود العريس ليخرج عروسه⁽¹⁵⁾، أو قد يخرجها أخوها أو أحد أقارب أو أصدقاء العريس أو حتى شخص أجنبي عنها كما يفهم من هذا البيت الشعري: وأخذ الأجنبي المراهق يدا *** عروسهم قبل خروجها زدا⁽¹⁶⁾.

ثم يركبها زوجها أو شخص آخر فوق الحصان أو الدابة (بغل أو حمار) ويركب معها ليزفها إلى بيتها الجديد، وفي هذا قال أكبيل السوسي⁽¹⁷⁾:

كذلك أن يركبها أو يركبها *** معها أو ينزلها عن مركبها

وفي المدن جرت العادة، وخاصة عند الميسورين، أن تُركب العروس في "العَمَارِيَّة"⁽¹⁸⁾ ويُطاف بها حول الحاضرين في القاعة، ثم يدخلها العريس في "صندوق من خشب مثمن الأضلاع ومغطى بثياب جميلة من الحرير والديباج، ويحمل الحمالون هذا الصندوق على رؤوسهم. ويتكون الموكب من أصدقاء أبوي الزوجة والزوج، مع المزامير والأبواق والطبول وحملة المشاعل العديدة، يتقدم الموكب أصدقاء العروس حاملين مشاعلهم ويتبع الزوجة أصدقاء والدها".⁽¹⁹⁾

بعد حمل العروس ينطلق الجميع نحو بيت العريس على نغمات الموسيقيين وغناء النساء اللواتي يختلطن بالرجال "في الطريق، فتسمع الصياح* والزراريت والبارود، ويكشفن كأنهن مع أزواجهن على زينتهن، فتقع فتنة عظيمة..."⁽²⁰⁾. أما الأم، فتودع ابنتها في جو من الحزن والبكاء كما يظهر من هذه المقاطع الغنائية:

أَيَا لَعَزِيزَهُ عَلَيَّ *** أَكَالَتْ لَكَ مُكَّ يَا بَنَّتِي
أَلَا تَبْكِي شُ وَسُكُتِي *** أَيَا مَيِّ مَا سَخِيئُشْ بَخُوتِي⁽²¹⁾

وإذا كانت المسافة قريبة من بيت العريس، يؤجل حمل العروس إلى اليوم الموالي (الثالث) حيث يعود الزوج رفقة عائلته وأصدقائه والموسيقيين.

وعند الوصول يقوم العريس أو شخص ما بإنزال العروس⁽²²⁾، وتحيط بهما النساء وبعض الشباب، وتقوم الأم برمي السكر والحلويات واللوز على العروس وزوجها⁽²³⁾ لتكون أيامهما كلها حلاوة، ثم يطوفان سبع مرات حول طاولة فوقها السكر والحلويات والحناء، وبعد ذلك يتم إدخال العروس إلى بيتها على إيقاعات الطبل وأصوات طلقات المدفع لإبطال السحر الذي يعتقدون أنه يوضع للزوجين، كما يفهم من كلام أكبيل⁽²⁴⁾:

ومثل ذا إخراج مدفع ثم *** في البيت لا يعرض عن التعلم.

وبعد جلوس العروس في مكانها تحيط بها النساء وهن يغنين:

"أَلَالْ لَعَرُوسَ يَا الْوَرْدَه، أَسِيدُ الرِّجَالِ دَيْتِيَه نَيَّه"

"أَلَالْ لَعَرُوسَ يَا الْوَرْدَه، عَلَيْكَ طَاخُ النَّدَى"

"هَكَذَا خَلَاوَه مَالِيَه، الْمَلْحَه وَالسَّرَّ عَلِيَه"،

وهو مما يتغنى به جماعيا في الأعراس وذلك لإظهار جمال العروس أما زوجها.

3- ليلة "لَعَرَامَه" في بيت العريس:

تعرف الليلة الثانية بليلة الحناء أو "لَعَرَامَه"، وفيها يقيم العريس حفلة عشاء لأصدقائه الغير متزوجين. وبعد الانتهاء من العشاء يُزَيَّنُ العريس (مولاي السلطان بالعربية وآسلي بالأمازيغية) بلباس أبيض يشمل سروال "قَنْدَرِيْسِي" (سروال تقليدي فضفاض يتعدى طوله الركبتين ولا يصل المنكبين)، والتَّحْنِيَّةُ أو "الْفُوقِيَه" (عبارة عن قميص طويل بأكمام، يرتديها الرجال غالبا تحت الجلابية)، وجلباب أبيض، وقد يضع سلهاما (بُرنسا) أبيض وينتعل بلغة بيضاء، وإذا كان الطقس حارا قد يلبس "الْكَنْدُورَه" (لباس بأكمام قصيرة عكس الفوقية تكون قصيرة وفضفاضة، عادة ما يرتديها الرجال في الصيف) أو "الْجَبَّادُور" (لباس يتكون من قطعتين: الأولى على شكل قميص قصير،

والثانية على شكل سروال) ، ويضع فوق رأسه عمامة أو طاقية بيضاء أو يقتصر على قُبّ الجلباب، ثم يُعطر بأحسن العطور المتوفرة.

بعد الانتهاء من إعداد العريس، يستدعي "لوزير" (الشخص المرافق للعريس) مجموعة من الشباب والشابات ثم يحضرونه وسط الزغاريد والأغاني ويجلسونه في فناء الدر أو أمام الخيمة، ويحيط به الرجال والنساء، ثم تبدأ الفتيات والفتيان الغير متزوجين في الغناء مرددين ما يلي:

أَمْوَلَايْ مَا زَالَ صَغِيرُ أَلَّاه	***	أَمْبَرُوكْ مَا رَاهْ إِيرْ أَلَّاه
أَمْوَلَايْ مَوْلُ الْخَيْدُوسْ ** أَلَّاه	***	أَوْعْلِيَه النَّاسْ تَكُوسْ أَلَّاه
أَمْوَلَايْ مَوْلُ الْجَلَّابْ أَلَّاه		أَتْهَلَّوْ فِيَهْ أَلْحَبَّابْ أَلَّاه
أَمْوَلَايْ مَوْلُ الصَّبَّاطْ أَلَّاه		أَتْهَلَّوْ فِيَهْ أَلْبَنَاتْ أَلَّاه
أَمْوَلَايْ دَارْ بَرَوَاتْ أَلَّاه		أَجَاوْ الرِّجَالْ أَلْبَنَاتْ أَلَّاه
أَمْوَلَايْ جَرْدْ نَعْنَاعْ أَلَّاه		أَلْبَرَبَاطِي يَتْبَاعْ أَلَّاه

إضافة إلى هذه المرددات التي سبق ذكرها في حناء العروس:

أَهْدِ الْحَنَّا جَاتْ مِنْ مَكَّة	***	اللِّي دَارْهَا فِيهَا الْبَرْكَة
"اللِّي كَتَحْنِي زَوْقِي الْيَدِينْ	***	أَوْخَلَصَكْ رَبُّ الْعَالَمِينْ
اللِّي كَتَحْنِي وَأَشْ كَمَلْتِي		أَلْخَبْرِي وَشْتْ دَرْتْ

بعد هذا تشرع بعض الفتيات، غالبا ما يكنّ ذوات قدر من الحسن والجمال، في وضع الحناء في أكف الشباب، وكل من وضعن له يضع مقدارا من المال أو هدية في صينية الحناء. وفي بعض الأحيان يقوم البراح بجمع التبرعات والهدايا مع ذكر صاحب الهدية وقيمتها أو نوعيتها، حيث يبرح "باسم الدافع وعدة ما دفع وتُوَلِّوْلُ الوَلَّوَالَة على ذلك بتلك الزغاريت." (25)

ومن العادات التي ما تزال تحافظ على وجودها، تلك المسماة بـ "عادة مولاي" عند بعض دواوير قبيلة بني يزناسن وأولاد عمر شرق المغرب، وخلالها يتم تكوين

صفين من الشباب الغير متزوجين (يستحسن أن يكونا متساويين من حيث العدد) وبجلابيب بيضاء وواضعين القباب على وجوههم: صف مولاي وصف المعارضة⁽²⁶⁾. وبعد أن ينتهي مولاي من وضع الحناء لأفراد الصفين، يختفي دون أن يراه أحد. آنذاك يبدأ الفريقان في البحث عنه: إذا وجده الفريق المعارض يلزمون الفريق الآخر بدفع غرامة قد تكون كبيرة، وإن وجده الفريق المؤيد تنتهي الأمور بدون دفع أية غرامة⁽²⁷⁾.

4 – يوم الهدايا وليلة الدخلة:

أ – الهدايا وما يرافقها من غناء ورقص وتزيّن:

يسمى اليوم الثالث بـ "يَوْمُ لَهْدِيَّاتٍ" حيث يستقبل أب العريس الهدايا من أصدقائه وجيرانه وأقربائه، وهذا دليل على التعاون والتضامن الذي كان سائدا كما في المثل الشعبي: "الْفَرْحُ بِالْأَحْبَابِ، وَالْقَرْحُ بِالْأَحْبَابِ"، وهو مثل يبين دور المشاركة المادية والوجدانية في الحياة الاجتماعية، فالمرأ يفرح لفرح أخيه ويحزن لحزنه. وكلما وصلت هدية إلا وقام "الشيوخ" باستقبالها بالمزمار والطبل وبعض الشباب يرقصون، ثم يدفع صاحب الهدية مبلغا ماليا "للشيوخ" تسمى "التَّبْرِيحَة" يأخذها "بَرَّاحُ الشُّيُوخِ" ويذكر قيمتها ويرحب بصاحب الهدية وبباقي الضيوف ويبارك للعريس. ومن بين هذه التبريحات (المرددات): "الله مَعَ اللَّيِّ غَرَمَ وَعَوَّدَ، والله مَعَ اللَّيِّ جَا وَجَابَ، واللِّي مَآ جَابَ، مَا عَلَيْهِ وَجَابَ"، وهو من التعابير الشعبية المتداولة عند العامة في أفراحهم المتنوعة على سبيل الطرافة، وتستعمل لبيان قيمة الهدايا المتبادلة في المناسبات الخاصة كالأعراس والاحتفالات بين الأصدقاء، فهي تقوم بدور مهم في نشر المحبة والألفة والأنس بين الناس. وأيضا: "مَرْحَبَا بَلِّي جَا وَجَابَ، واللِّي مَآ جَابَ، مَا عَلَيْهِ وَجَابَ": جا وجاب: حضر وأحضر معه هدية. ما عليه وجاب: ليس ذلك واجبا عليه: بمعنى يستحسن للشخص المستدعي لحفلة الزفاف، أن يصطحب معه هدية لصاحب الحفلة حسب طاقته المادية، وإن لم يفعل فحضوره يكفي وليس الهدية بواجب عليه. وأيضا: "اللِّي جَا بِالْعَرَضَةِ مَرْحَبَا بِهِ، واللِّي جَا بَلَا عَرَضَا بَارَكَ اللهُ فِيهِ": أي من استدعيناه وجاء مرحبا به، ومن جاء بدون استدعاء بارك الله فيه، وهو مثل يقال لأن الكثير من الشباب والمتطفلين يحضرون لحفلة العرس دون استدعائهم، وخاصة في الليلة الثالثة للاستمتاع بالسهرة، ولا يقدم أي

طعام لهؤلاء كما يُلمح من هذا المثل الشعبي: "إِيْلَا خَلَكَ مُوْلُ الْعَرَسِ كُلُّ بِلَا غَسِيلِ الْيَدِ": أي إذا لم تكن مدعوا وتركك صاحب العرس أن تدخل إلى قاعة الأكل، فكل بدون غسل يديك، والمثل بصفة عامة يقال فيمن يقدم على أمر ولن يتأتى له إلا بإذن من المسؤول عنه.

تكون الهدايا عينية مثل القمح والدقيق، أو من قوالب السكر، أو من المواشي، أو تكون نقدية... وأحسنها هو الكبش. وفي بعض المناطق كان الخمر يقدم هدايا لأصحاب العرس⁽²⁸⁾.

وإذا كان العرس بدون "الشيوخ" تتكلف النساء باستقبال الهدايا، بحيث يخرجن في صفين وهن يغنين أغاني يمدحن فيها صاحب الهدية، مثل هاتيه: "سَعْدِ بَوْلْدَ عَمِّي جَا أَجَابَ لَهْدِيَّه". وقد يصطف الرجال في صف وتقابلهم النساء في صف والجميع يغني، فينطبق عليهم هذا المثل الشعبي: "خَلَّ النَّايَّةُ وَتَبَعَ الْمَايَّةُ": الآية: كلام الله. الماية: الموسيقى المصحوبة بالغناء، ويقال المثل فيمن أهمل ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله من تعاليم دينية واتبع اللهو والموسيقى والغناء، سيما عندما يصل الإنسان إلى سن الوقار، وهي إشارة كذلك إلى ما يرافق العرس من صخب وغناء واختلاط بين النساء والرجال وممارسة للمنكرات. وقد صور لنا الهبتي⁽²⁹⁾ هذه العادة قائلاً:

لكن قل بالقلب واللسان *** الحمد لله الذي عفان
مما ابتلى به أناس كالبقرة *** ليس لهم على النساء من حذر
هم مع النساء كالكلاب ما بينهم تالله من حجاب

وفي بعض الأحيان يصطف الرجال في صفين للغناء والنساء يصفقن ويزغردن كلما سمعن أغنية أو موالاً. ويقود كل صف مغني متمرس يسمى "الزَّرَّاعُ"، أي يقول أغنية في شطرين فيردد صفه شطرا والصف المقابل يردد الشطر الثاني. وكلما أراد "الزَّرَّاعُ" أن يغير الأغنية رفع "البندير" (الطبل) إلى الأعلى فيسكت الجميع لسمع الأغنية، وبعد ترديدها يرتفع صوت الزغاريد والصياح. ومعظم ما يتم ترديده يشمل المدح والتغزل بالنساء، وناذرا ما يتم ترديد أغاني الهجاء. وأثناء الغناء تشتد المنافسة بين الصفين، وخاصة بين "الزَّرَّاعين" بحيث يعمل كل واحد أن لا ينتهي رصيده الغنائي قبل الآخر،

وتزداد المنافسة أكثر إذا كان الصفان من قبيلتين أو من دواوين مختلفين، ولذلك كان الرقص والغناء في بعض الأحيان يمتد لحوالي ساعة دون توقف. وقد وصف لنا أكبيل هذه العادة قائلاً: "... وهو أن يرقص الرجال بالكبر والدخوف وينشدون الغناء، فتخرج النساء إلى طرفهم ويجلسن للنظر إليهم والزغاريت [الزغاريد] والصياح يكون منهم، وربما يختلطن حينئذ بالرجال فيقع ما لا يجوز بينهما من اللمس..."⁽³⁰⁾، كما في قبائل غمارة حيث تختلط "النساء بالرجال وهم يشطحون ويرقصون ويكفون [يصفقون] ويغنون... وكإسماع النساء أصواتهن الحسنة بالغناء والولول [الزغاريد] للرجال الأجانب... وكبدعة اللعين الزفان... وكالاجتماع على الغناء وآلات اللهو وشرب الخمر والمقمرة..."⁽³¹⁾.

وكان من عادة الأغنياء أن يستدعوا الخيالة من مختلف الدواوين، وحتى القبائل المجاورة، بحيث تشكل كل قبيلة أو دوار فرقة من الخيالة ويتم التسابق والمنافسة بين الفرق المختلفة باستعمال البنادق التقليدية أمام أنظار شيوخ وأعيان القبائل، وحتى بعض رجال المخزن في بعض الأحيان⁽³²⁾.

ونظراً لأهمية يوم الهدايا فإن كل امرأة، عازبة أو متزوجة، كانت تسعى لأن تظهر في صورة لائقة أمام الجميع وذلك بلباس أحسن الثياب كالقطن أو البلوزة أو التكتيشية، وبالتحلي بمختلف أنواع المجوهرات من أساور وخواتم وأقراط وسلاسل ودمالج ذهبية...، لمن توفر لها ذلك، تماشياً مع المثل القائل: "الْحَطَّارَةُ بِلَا دَكِّ، بِحَالِ الْأَرْضِ بِلَا حَكِّ": الحطاره: المرأة التي تحضر في حفلة وهي مرتدية أجمل حللها ومترينة بأبهى حلّيها. والدكّ: الحلي والمجوهرات. حكّ الأرض: تتطيّفها: أي أن المرأة الغير أنيقة مثلها مثل أرض غير منقية من الأحجار والأشواك والأعشاب الضارة. وقد وقفنا على نص يشرح هيئة المرأة في العرس، وهذا أهم ما جاء فيه "... فإذا أرادت إحداهن الخروج تتنظفت [تتظفت] وتزينت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحلي فلبسته وتخرج... كأنها عروسة..."⁽³³⁾. وبالنسبة للنساء الفقيرات اللاتي لا يتوفرن على الثياب اللائقة والحلي والمجوهرات فكن يستعرن ذلك من الغنيات كما يتضح من كلام أكبيل⁽³⁴⁾: "وكذلك ما يفعلن في سائر الأفراح من لبس الحلي، وربما تستعيره إذا لم يكن عندها..."

وتكشف بعض الأمثال الشعبية بدورها عن هذه العادة مثل هذا الذي جاء فيه: "حَاجَتِي عَلَيْكَ يَا ذِيكَ الْحَطَّارَه، لَا تَاكَلِي كَثِيرَ تَطَرُّقٍ لِي لِمَدَجَه" (35).

ويكون عدد الحاضرين مختلفا حسب المكانة الاجتماعية لصاحب العرس، وغالبا لا يُستدعى الفقراء في كثير من أعراس الأغنياء كما يفهم من هذا المثل: "فِي الْفَرْحِ مَنْسِيَّينَ وَفِي الْقَرْحِ مَدْعِيَّينَ".

بعد تناول وجبة الغذاء تقام حفلة شاي ورقص وغناء إلى غاية صلاة العصر حيث يستريح الجميع استعدادا للسهرة، وينشغل البعض بتحضير وجبة العشاء لبعض المدعوين فقط. وفي الوقت نفسه، يتم تجهيز موكب العريس لإحضار العروس إذا كان أُجِّلَ إحضارها في اليوم السابق.

ب - الدخلة وطقوسها:

رغم المصاريف الكثيرة والأتعاب المرافقة للعرس. فإن العريس يتحمل كل ذلك وينتظر عروسه بشوق كبير في ليلة "الدَّخْلَه" كما يفهم من هذا المثل الشعبي: "اللي بَغَا نُونُو كَيَصْبِرُ اللَّيْلُ كُلُّهُ": نونو تعبير للأطفال الصغار عن اللعبة أو الشيء الجميل الذي يعجبهم، وأصل المثل أن المرء يتزوج وينتظر ليلة قدوم عروسه كي تزف إليه في أبهى زينتها وأجمل حلتها ولباسها، والبهجة والفرحة والموسيقى تغمر كل المدعوين، فلا يهمه أن يسهر الليل بكامله من أجل ذلك. وتعتبر ليلة الدخلة أحسن الليالي في حياة الفرد حتى قيل عنها: "إِيْلَا ضَاقَ صَدْرُكَ تَفَكَّرْ لَيْلَةَ عَرْسِكَ"، وهو مثل يبين قيمة الذكريات السارة في الارتياح النفسي.

ويتم إدخال العريس إلى عروسه في صورة أنيقة (36) بعد أن يستحم ويحلق شعر لحيته ويلبس جلبابا أبيض وهو مغطى الرأس، حتى أن الأمثال الشعبية شبهته بأرض مجففة وأنيقة كما يفهم من عكس هذا المثل: "لَعْرِيسُ بِلَا تَحْفِيفُ بِحَالِ الْآرْضِ بِلَا تَجْفِيفُ"، ويكون محاطا بمجموعة من الشباب (37) وهم يرددون الأغنية التالية:

جَبْنَا لَعْرِيسُ أَجِينَا	***	"مَشِينَا مَشِينَا مَشِينَا
جَبْنَا لَخُدُودُ الْخُومَرِ.	***	جَبْنَا لَعْيُونُ الْكُوحَلُ

ويجد العريس في باب غرفته أو في مدخل خيمته الصغيرة (عشة) أمه باسطة رجليها فيخطاها ويكسر بيضة بقدمه في عتبة الباب ليبطل "التَقَافُ" الذي يُعمل للعريس حتى لا يتمكن من افتضاض بكاره عروسه في ليلته الأولى، وهو عيب ينقص من رجولة العريس في الثقافة الشعبية. وبعد إدخال العريس إلى "عشته" أو غرفته يقف شخص في الباب يسمى "لوزير"⁽³⁸⁾ يكون من بين أقربائه أو من أصدقائه، كما يكشف هذا البيت الشعري:

وكحضور غير زوجها معه *** عند الباب حيث يرى أو يسمعه⁽³⁹⁾.

وجرت العادة أن يتعمد العريس "وضع قدمه على قدم عروسه عند دخوله عليها أو تضع هي قدمها على قدميه ويرون في ذلك أن من جاء قدمه فوق قدم صاحبه فهو الغالب وله المزية على الآخر."⁽⁴⁰⁾، ويعقب هذا "أيضاً أن يدفع العروس لعروسه شيئاً من الدراهم لكي تحل سراويلها... وكان يعرف عند بعض أهل المغرب بجل السراويل."⁽⁴¹⁾

وبمجرد إخراج "لَقَمَجَه" أو "الجَّطِيْطَه"⁽⁴²⁾ (في المفهوم الشعبي) تدخل مجموعة من النساء إلى العروس يهنئنها وهن يغنين:

السَّروالُ تَسَالَا *** أَمَا بَقَى مَا يَتَكَالَا

أَشُوفُوا يَا لَعَزَارَا *** أَلَا تَقُولُوا هَجَالَا

أهكذا إكُونُوا، بَنَاتُ الرِّجَالِ الْمَحْضِيَّاتُ

ويدخل كذلك "أصحاب العروس [العريس] المسمون بالوزري [الوزراء] عند بعض أهل البادية فيدخلون على العروسة بعد الدخول بها ليناولوها ما يحتاجان إليه من طعام وغيره وليفسخوا معه بعض ظفائر العروسة..."⁽⁴³⁾. في الوقت نفسه تتكلف مجموعة من النساء والرجال الشباب بحمل "لَقَمَجَه"، وهي معلقة في قصبة على شكل راية، إلى منزل والدي العروس، إذا كانت المسافة قريبة، ويطوفون بها عبر الأزقة بالغناء والزغاريد حتى يراها الجميع وتثبت عذريتها وعفتها⁽⁴⁴⁾. أما إذا عجز، أو تأخر، العريس في افتضاض بكاره عروسه، فيقال عنه أنه "مَتَّقَفٌ" أو "مَرَبُوطٌ"⁽⁴⁵⁾ ولذلك يقصدون الحرَّاز (لَفْقِيَه أو الطَّالِب) ليكتب له حرزاً (تميمة) يبطل به "التَقَافُ" (السحر)، كما جرت العادة أن تُكسر للمعترض أربع بيضات أو ست لمعالجته⁽⁴⁶⁾، أو يستشير

العشاب الذي ينصحه عادة بأن "يأخذ سبعة أوراق من السدر ويسحقها ويمزجها بالماء ويقرأ عليها فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات وذوات قل من قل هو الله أحد وغيرها ويشربها ثلاث مرات".⁽⁴⁷⁾، وقد ينصح المعترض أيضا بأكل ذكر القنفذ مشويا، وفي ذلك قال بعضهم⁽⁴⁸⁾:

في أكل شيء ذكر القنفوذ	***	تهيج والحل للمعقود
وإن شحمه دلكت الذكتر	***	أنعطه نعطاً مطبرا
وإن تبخرة بجلد القنفذ		ينحل عقده بإذن الصمد
كذلك إذا بمخلب الديك انتجر		أعني اليمين منه طبّ اشتهر.

والحقيقة أن عجز العريس يرتبط بالدهشة التي يصاب بها في ليلة الدخلة، وأيضا بحالة العروس التي قد تكون "حاجّه" أي رتقا⁽⁴⁹⁾، أو "متقّفه" أي "مربوطة" و"مصقّحة"⁽⁵⁰⁾ في المفهوم الشعبي. ولذلك كم من عريس خدشت رجولته (فحولته)، ويا من عروس اتهمت ظلما في عفتها لا شيء سوى لأنها خلقت رتقاء وتستوجب التدخل الطبي. وساد الاعتقاد في بعض المناطق أن من ولدت في شهر محرم الحرام تكون ساقطة البكارة ولذلك جرت العادة أن لا تقام حفلات الأعراس في هذا الشهر كما يلمح من هذا القول:

ومنع أهل الجهل تزويجا علم *** شهر المحرم ببدة وسم⁽⁵¹⁾.

وإذا كانت العروس ثيبا⁽⁵²⁾ ترد إلى أهلها، وينصرف المدعوون بدون أكل، وفي ذلك مذكوره لها ولجميع أهلها.

وتحكي الرواية الشفوية أن العريس الذي كان يريد أن يستتر عروسه ويحافظ عليها إذا كانت ثيبا. كان يستعمل ماء الطماطم أو يجرح أصبعه أو مكان ما من جسمه أو جسم عروسه ويضع الدم على القميص ثم يخرج "للوزير". لكن التجربة كانت تمكن الكثير من "الوزراء" رجالا ونساء من اكتشاف الحقيقة لأن دم البكارة له لون ورائحة مميزين!؟

5 - السهرة أو "التقصير":

يطلق على الليلة الثالثة ليلة "التقصير" أي السهرة حيث يجلس الرجال في جهة والنساء في جهة، و"الشيوخ" (الموسيقيون) في ركن مقابل للجميع. وتنتطلق السهرة على نغمات المزممار وإيقاعات الطبل. وجرت العادة أن يكون العريس أول من يُبرّح (يقدم هدية نقدية للشيوخ)، حيث يلتمس من البراح أن يرحب باسمه بجميع الحاضرين والتزام الهدوء وعدم إثارة الفوضى، ومن بين ما كان يردده البراح: "السّهير (الصمت) و"الهدنة" (الهدوء) "أَرَبَّ اللّٰهِ لَقَانَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ". "هَذِهِ هَدِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ مُوَلَّائِي السُّلْطَانِ، سُلْطَانِ سَبْعِ أَيَّامٍ اللّٰهُ إِزْدَلَّهُ وَبَارِكْ لَهُ فِي لَيَّامٍ". ثم يبدأ ما يسمى بـ"لبراطه" أو "البورطيات" وخلالها يرقص⁽⁵³⁾ بعض الرجال على إيقاعات خاصة مثل "لُعْلَاوِي"⁽⁵⁴⁾ و"الْمُنْكَوْشِي" (كاف معقوفة) أو "الركادة"⁽⁵⁵⁾ و"النّهاري"⁽⁵⁶⁾ و"التّازيّه"⁽⁵⁷⁾. وكلما أنهى راقص رقصته يدفع مبلغا ماليا للشيوخ يبرح به البراح وتتبعه "النساء بالزغاريت للرجال في ضرب الدف [الطبل] وعند إخراج البارود أو غير ذلك..."⁽⁵⁸⁾، وقد عبر أكبيل عن استنكاره لهذه العادة في هذا البيت الشعري:

وهكذا أيضا من الضلال *** زغرطة النساء للرجال⁽⁵⁹⁾.

وفي بعض المدن، كفاس، كان الراقص إذا انتهى من رقصه يخرج من فمه قطعة نقود ويرمي بها على بساط المغنين⁽⁶⁰⁾. "وإذا أراد أحد الأصدقاء أن يكرم الراقص دعاه لأن يجلس على ركبتيه أمامه وألصق على وجهه قطعة من نقود ينتزعها المغنون بعد ذلك فوراً"⁽⁶¹⁾.

وبعد انتهاء "البورطيات أو لبراطه"، تبدأ سهرة الأغاني حيث يطلب كل واحد من البراح أن يغني الشيوخ أغنيته المطلوبة مقابل مبلغ مالي. هذه الطلبات كانت سببا في حصول نزاعات بين الأفراد والمجموعات بسبب إصرار كل واحد أو كل مجموعة على طلبها، فيشتد التنافس، وقد يصل الأمر إلى حصول نزاعات واشتباكات تتوقف بسببها السهرة. ويزداد الحماس والتنافس حينما تقوم "الشيخة أو الرّكّاصة" (الراقصة) وتطوف في القاعة حول الرجال، وكلما وصلت إلى أحدهم تُلوّح عليه بمنديل تحمله في يدها وترقص حوله، فيضطر لإخراج النقود ويطلب من البراح أن يبرح ويذكر أسماء أفراد

مجموعته والعريس، ويطلب أغنيته، وقد يستثني منافسيه ويطلب من "الركاصة" أن تبقى معه، ويرقص معها ثم يعلق لها أوراقا نقدية في رأسها أو في صدرها، وهو ما يؤدي إلى غضب باقي المجموعات فيشتد التنافس الذي كثيرا ما ينتهي بمشادات تصل إلى الضرب والجرح⁽⁶²⁾، سيما وأن الخمر كان من بين المشروبات التي تحضر في الأعراس⁽⁶³⁾. أما النساء فكن فيشكلن دائرة ويستقبلن الراقصة بالتصفيق والزغاريد كما وصف ذلك الهبطي⁽⁶⁴⁾:

نساؤهم يشطحن للزفان *** سمعا وطاعة لدى الشيطان
يدورون دائرة مرتبة *** لرقص من تجيئهم مزينة
هالت ومالت بينهم ودارت *** والكل من أعضائها قد هزت
فلو رأيت من تكون شاطحة *** ثم تراها للصلاة فاعلة
لبان شطحها على انتظام *** ثم صلاتها بلا تمام.

ولإثارة الحماس في "القاعة"، وتشجيع الجميع على الرقص والغناء. تشير الأمثال الشعبية إلى بعض الأغاني التي كانت ترددها النساء، ومن بينها:
"بَايْتَه، بَايْتَه، وَاللِّي مَا حَمَاهَا يَقْطَعُ يَدِيَه": أي الحث على المشاركة في التطبير والتصفيق والنشاط. وأيضا: "عَاوُنُونَا بِدِيَكُمُ اللَّهُ إِجَازِيَكُم": أي صفقوا بأياديكم جزاكم الله، و كذلك "اللِّي مَا اشْطَحْ، مَا غَنَى كَيْفُه، كَيْفَ الطَّنَّة": الطنة: آنية من طين خشن. هذه "الأغنية" تدعو الشخص إلى الترفيه عن النفس ومشاركة الغير في أفراحه. وشبه هذا المثل الشخص الذي لا يمرح في العرس بشيء جامد وقبيح المظهر.
وخلال السهرة يقدم، في بعض الأحيان، الشاي للحاضرين. أما العشاء فيستفيد منه المدعون فقط.

6 – عادات "لَعَوَايِدْ" أو الخبز وحب الرأس:

يعرف اليوم الرابع بـ "لَعَوَايِدْ"، وفيه تحضر أم العروس وجبة غذاء لدار العريس تختلف مكوناتها حسب المستوى المادي للأسر، لكنها في الغالب تتكون من أنواع الحلويات والدجاج ولحم الخروف والخبز، إضافة إلى الهدايا التي جمعتها العروس في مراسيم الحناء، وكذلك الأثاث وتجهيزاتها المختلفة أو ما يسمى بـ "الجهاز".

وجرت العادة في يوم "لعوايد" أن يطوف مجموعة من الشباب، على الدوار أو في الدروب، بطبق يجمعون فيه التبرعات النقدية والعينية (بيض ودجاج وحلويات...) ويهدونها لأُم العروس. وفي اليوم الخامس يذبح أبُ العريس شاة وتخرج العروس من بيتها ثم تسلم على أفراد أسرة العريس ويركب لها حماها (أخو زوجها، ويستحسن أن يكون غنياً أو "حائِك" أي حاذقاً ومجداً في عمله) حزامها لأن ذلك يجعلها حاذقة في أعمال البيت حسب الموروث الشعبي. وكان العريس في بعض المناطق لا يخرج من بيته إلا "بعد سبعة أيام، فيذهب توا لشراء كمية من السمك يحملها إلى بيته أو إلى امرأة أخرى لترميها على قدمي العروس، ويعتبرون ذلك من أسباب اليمن..." (65).

ومن العادات الأخرى التي تذكرها الرواية الشفوية إخفاء بعض أغراض العريس كبلغته أو حذائه أو ... وإرجاعها بمقابل مادي إذا لم يتوفق "لوزير" في إيجادها. وكذلك "أخذ شيء من الطعام من غير رؤية ربه على وجه الخفاء، وهو نوع من السرقة، ثم يخرج في بيته مثلاً" (66). ويذكر ابن الحاج أن بعض الفتيات كن، وبمجرد أن تتم خطبتهن، يفطرن في رمضان "خيفة على تغير أجسامهن عن الحسن والسمن وكذلك من كانت منهن قد عقد عليها زوجها ولم يدخل بها بعد فترك الصوم خيفة على بدنهن أن ينقص..." (67).

وفي اليوم السابع يكون "حبّ الرُّوس" (الرؤوس) أي تقبيل رؤوس الأصهار (أب وأُم الزوجة، وجدها وجدتها إن كانوا أحياء)، وتقام حفلة عشاء يحضرها أقارب الزوجين، "وتأتى النساء المتخصصات في تجميل العرائس، فيمشطن شعرهن ويزين خدودهن بالحمرة، ويخصبن أيديهن وأرجلهن بالسواد مع رسوم جميلة [...] وبيعت أبو الزوجة في ذلك اليوم بهدايا هامة إلى دار الزوج تتكون من حلويات وخرفان كاملة..." (68).

وجرت العادة أن يهدي الزوج لزوجته هدية "قبل البناء كالخفين والجوربين ونحوهما" (69)، وفي فاتح رجب من كل سنة يقدم لأصهاره وأقاربه هدية حسب طاقته المادية، وتشمل أنواع الحلويات المصفوفة فوق ثوب موضوع في صينية وذلك في إطار ما كان يعرف بـ "مهادة الأقارب والأصهار سيما إن كانت المصاهرة جديدة أو لم يدخل بالزوجة بعد فلا بد من خرقة على صينية مع أطباق الحلوات وغيرها..." (70)، وقد حافظ

المجتمع المغربي على هذه العادة بحيث اعتاد المتزوج حديثاً أو المقبل على الزواج على دعوة أصهاره في بعض المناسبات كعيدى الفطر والأضحى... وإقامة وليمة لهم، كما يعمل على شراء هدايا لخطيبته.

7 - "الجهاز":

"الجهاز" أو "الشَّوْرَة" لغة هي أثاث البيت وحوائجه، واصطلاحاً هو تجهيز الأب ابنته لزوجها وقت الزفاف أو ما تحمله المرأة لزوجها عند البناء من أثاث ولوازم ولباس وغيرها⁽⁷¹⁾. وترتبط هذه اللوازم والأثاث بقيمة المهر المتفق عليه في عشاء الخطوبة أو في يوم "لَمْشِيخَه" بحضور أولياء أمور المخطوبين أو بعض أقاربهما. وكان المهر يختلف حسب المستوى المادي للأسر ومركزها الاجتماعى⁽⁷²⁾، وقد يكون كذلك حسب جمال المرأة وخصالها كما يشير إلى ذلك عبد الرحمان المجذوب⁽⁷³⁾:

وَاحِدَةٌ رُخِيصَةٌ بِمِائَةِ أَلْفٍ *** وَاحِدَةٌ غَالِيَةٌ بِجُلْدٍ قَعُودٍ. رخيصة: يعني رخيصة. مائة ألف: مائة ألف. بجلد قعود: جلد جمل. والمعنى أن المهر أو الصداق لا يعتبر غالياً أو مرتفعاً بل هو رخيص ومنخفض حتى إذا وصل مائة ألف إذا كانت المرأة جديرة به بسبب خصالها وأوصافها الحسنة، عكس المرأة القبيحة والشريرة التي لا تستحق حتى جلد جمل في مهرها.

وإجمالاً كان "الجهاز" يتكون من صندوق، وحصير، وغطاءين من الصوف (الطَّلَامْطُ)، وأربع مخدات (وسائد)، ومثلها من "اللُّحُوف"، وصندوق خشبي، ومقراج واحد، وبراد واحد، وصينية، وكؤوس الشاي، وغراف (قلوش)، وطاولة، وإيزار، وبلوزة أو اثنتين، وتكشيطة، وقفطان، وحائك، وشاح واحد أو اثنان، وحذاء قد يكون مطرزاً، والأمشاط، والعطور، والمراوح الأنيقة⁽⁷⁴⁾.

وبسبب الفوارق الكبيرة بين الأسر الغنية والفقيرة. أصدر السلطان محمد الخامس ظهيراً ينظم الحفلات، ويلزم الزوجين، حتى الأغنياء، بالاعتصار: "على خاميات ثلاث إحداها من ثوب الموبرة، والأخريان من ثوب يصلح للتطهير ويقتصر على الطلقان عوضاً عن اللحف، ويكون غطاء زربية البيت من ثوب متوسط قابل للتطهير لا يفسده - زربية لوسط البيت - طراز الخدادي والمخدات لا يتعدى خمسة وعشرين سنطيماً من

الجهة وغلافاتها بدون طرز - تلاميط الجليسات تطرز بطرز خفيف يعرف بالرباطي - والخدادي والمخايد إما بالطرز من ثوب الموبرة ولا يجمع بينهما - والسطارم من البهجة أو الموبرة - والتلاميط من الشيت أو ما شاكله - ويقتصر على إزارين للغطاء أحدهما لا طرز به والآخر به طرز من خمسة وعشرين سنطيمًا - منديل التكميش يكون بطرز الرباطي طرزا خفيفا لا ترييش به - وفوطات الحجر لا تتعدى اثنتي عشرة فوطة بدون طرز لا تكرير ولا ترييش - ومجدول الخامية من الصابرة أو القطن بدون الصقلي، وصندوق العتيدة يكون مجلدا بالجلد أو الموبرة بالمسمار بدون مكانة ولا غيرها - والصوف لا تتعدى ستة قناطير بدون تصبين - وعلو الفراش كيفما كان لا يتعدى خمسة عشر سنطيمًا إلى عشرين سنطيمًا - الصبوحى (الهدايا التي يقدمها العريس إلى عروسه في اليوم الموالي لليلة الدخول) لا يتجاوز تفصيلتين وسبنتين وشربلا ومضمة وشيئا من الطيب. يوجه فرش العروسة لدار زوجها بدون تكميش ومع من تيسر من الحمالين دون المعنيين الآن الذين يقبضون على حمله أجرة باهضة، ويفرش بيت الزفاف بشوار (أثاث البيت ومتطلباته من أرز وأغطية وزرابي) الزوجة فقط ...

الحلي واللباس: لا يتجاوز الحلي مدجة واحدة من الجواهر ودملوجين وحلقات وخاخة (قطعة من الذهب مرصعة توضع على الجبهة) واحدة في الجبهة، ولا يتجاوز لباس العروسة أيام بروزها لبستين فقط في اليوم⁽⁷⁵⁾، علاوة على خامية البهجة واللحي والحيطي والرواقات والسفايف والحراقص وطرز الخريب وطرز الجليسات بالغزرة والسطارم والبريوات المطرزة بالصقلين ولبس الخريب والفراش به ومجدول الخامية بالصقلي⁽⁷⁶⁾.

الخلاصة:

إن حفلة الزفاف تعتبر من مناسبات الأفراح التي تجر معها تاريخا ثقيلًا ومليئًا بالمعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فالعرس كان ولا يزال مناسبة لترسيخ التكافل بين أفراد المجتمع سواء من خلال الهدايا التي يقدمها الأقارب والأصدقاء والجيران لأهل العرس، أو من خلال "لَغْرَامَة" التي تعطى للعروس والعريس، وهو أيضا

مناسبة لتليين القلوب وحل الخلافات الفردية والجماعية⁽⁷⁷⁾. كما أن العرس، ولاسيما ليلة الدخلة، هو من الذكريات السارة التي تبعث على الارتياح النفسي، هذه الليلة تؤكد وبالملوس على أن حفلة الزفاف هي طقس عبوري.

ومن جهة أخرى فإن حفلة الزفاف تجسد التفاوت الطبقي الذي ميز المجتمع من حيث المستوى المعيشي والذي يتجلى في عدد ونوعية وجبات الطعام، وفي الأثاث والأواني المستعملة في الأعراس، وفي قيمة المهر وتجهيزات العروس وكذلك من خلال طريقة الأكل⁽⁷⁸⁾.

ومن جانب آخر فإن العرس هو مناسبة تعكس نوع النظام السياسي وتنظيمه الإداري والعسكري وذلك من خلال حضور كلمتي "السلطان" و "لَوَزِير"، ومن خلال اقتسام الشباب الغير متزوجين في ليلة "عادة مولاي" إلى تيارين أحدهما يناصر العريس والآخر يعارضه. كما أن كلمة "لَوَزِيرَة" تكشف على أن المرأة المغربية شاركت في الحياة السياسية⁽⁷⁹⁾ ولم يكن دورها يقتصر على الأعمال المنزلية أو الأشغال الشاقة في البوادي كما في المدن. وعلاوة على هذا فإن طريقة الرقص وحضور الخيالية وبعض أنواع الأسلحة التقليدية تدل على أن العرس هو مناسبة تكشف على طريقة التنظيم العسكري وطريقة مواجهة الخصم أو الاستعداد لذلك.

إن بعض عادات وطقوس العرس تدل على عدم تخلص المجتمع من الفكر الغيبي الذي ظل ينبعث وينمو أكثر في فترات الأزمات، خاصة وأن الكثير من هذه العادات والطقوس هي امتداد تاريخي لإرث حضاري موروث عن أسلافنا أو مستمد، في بعض منه، من شعوب أخرى⁽⁸⁰⁾، وهي بالتالي تؤكد أن المجتمع المغربي ظل منفتحا على غيره ولم يكن يوما ما منغلقا بشكل تام بل تبادل التأثير والتأثر مع شعوب وحضارات أخرى⁽⁸¹⁾، ولاسيما مع شعوب المغرب العربي كالجرائر وتونس بحكم القرب الجغرافي والاشتراك في الدين واللغة والتاريخ. كما أن تشابه الطقوس والعادات بين أعراس العرب والأمازيغ يدل على التعايش الذي ميز، ولا يزال يميز، المجتمع المغربي رغم اختلاف الأعراق (عرب، أمازيغ، يهود، مسيحيون، أفارقة...)، وبالتالي فالعرس يعتبر من الحفلات والمناسبات التي تساهم في إرساء السلم الاجتماعي.

إن الأمثال والحكم والمرددات الشعبية، المرتبطة بحفلة الزفاف، تكشف عن جوانب كثيرة من التاريخ المنسي أو المسكوت عنه، وهي بذلك تعد من المصادر التي لا يمكن إغفالها لبناء وإنجاح مؤسسة الزواج وتربية الناشئة وسط محيط أسري سليم يسوده التفاهم والتعاون والمحبة بين الزوجين والأبناء، وتتمرر عبره قيم المجتمع الدينية والثقافية والخلفية والاجتماعية والاقتصادية، وحتى السياسية، وبالتالي تنشئة فرد صالح قادر على تكوين مجتمع سليم يوفر شروط الحياة الكريمة لجميع فئاته.

الهوامش:

- (1) - تدل كلمة "تعرقية" في الثقافة الشعبية المغربية على الذبيحة التي يذبحها أهل الرجل في بيت أهل الفتاة بعد تراضي العائلتين على زواج ابنيهما. وتكون هذه الذبيحة إما كبشا أو خروفا أو جديا ... حسب المستوى المادي لأهل الرجل. و"التعرقية" هي بمثابة إعلان وإشهار عن بداية عملية الزواج. ويعتقد السكان على أن "التعرقية" هي ضرورية لنجاح وإتمام الزواج لأن الدم الذي يراق فيها يطرد النحس والحسد ويجلب الخير والبركة. (رواية شفوية).
- (2) - أكبيل محمد بن علي بن إبراهيم السوسي (ت. 1162هـ/1748-49م): تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان. تحقيق: محمد سنتينو. مراجعة: أحمد حدادي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 46، سلسلة بحوث ودراسات. 13، وجدة 2001. ص: 89. وقد ذكر المؤرخ أن هذه العادة مقتبسة من اليهود والنصارى. (م.ن، ص: 90).
- (3) - ورد في أحد المقاطع الغنائية ما يلي: **مُؤَلَّي السُّلْطَان رَكْبٌ لَعْلَامٌ *** بَيْنَ النُّجُومِ الْغِيَامِ**. أي أن العريس ركب علما عاليا يرفرف في السماء بين السحاب والنجوم.
- (4) - تتناول الدراسات الإمبريالية لتقول على أن تعليق الراية يعني اتباع بعض القبائل المغربية للديانة المسيحية، لأنه في بعض القبائل والدواوير كانت تلتصق في أعلى القصبه خشبة أو عمود أو جزء من قصبه صغيرة، تبلغ حوالي خمسين سنمترا، بشكل أفقي لتتشد قطعة القماش، فاعتبرها بعض الرحالة بأنها رمز للصليب وبالتالي اتباع الديانة المسيحية، وهذا ليس بصحيح. للمزيد من الاطلاع، أنظر: _ مولييراس أوغيسست Moulieras Auguste: المغرب المجهول، الجزء الأول: اكتشاف الريف، ترجمة عزيز الخطابي، منشورات تيفراز ن أريف، طبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007م.
- (5) - ظلت هذه العادة سائدة في المجتمع المغربي منذ العصر الوسيط، على الأقل، إلى يومنا هذا كما يتضح من الأسئلة الواردة في بعض كتب النوازل مثل هذا الذي جاء في ديوان الأحكام حيث "سئل مالك عن الناكح يلزمه أهل المرأة هدية العرس، وجل الناس يعمل بها عندنا حتى إنه لتكون فيه الخصومة، أترى أن يقضي به؟ قال: إذا كان ذلك قد عرف من شأنهم وهو علمهم، لم أر أن يطرح ذلك عنهم إلا أن يتقدم فيه السلطان لأنني أراه أمرا قد جروا عليه". للمزيد من الاطلاع، تنظر: أبو الإصبع عيسى

الأسدي الجباني (ت. 486هـ/ 1075-76م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق. د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007م، ص: 195.

(6) - تزغرد النساء لتشجيع وإثارة الحماس في الرجال، وخاصة في أزواجهن أو أحد أقربائهن. ولذلك قيل على أن الزغاريد تطيل في العمر كما يفهم من هذا المقطع الغنائي:
آلَه بُجُورُ بِكُمْ الزَّغَرَاتَاتُ *** آله أَنْتُمْ تَزِدُوا النَّصَّ فَلَحْيَاةً. "بوجور": أصل الكلمة فرنسي bonjour التي تعني التحية. النص: النص. ومعنى المقطع أهلا وسهلا ومرحبا بالزغاريد لأنها تطيل عمر الإنسان أو تضاعفه.

(7) - تتكون مجموعة "الشيوخ" أو الموسيقيين من طبال أو اثنين ومن "غياط" (النافخ في المزمارة) أو اثنين، ومن مغني أو اثنين (يعرف بـ "المغناج"، ومن راقصة أو اثنتين (تعرف بـ "الشيخة" أو "الركاصة" (بكاف معقوفة)، وفي بعض الأحيان تشتغل "الشيخة" كراقصة ومغنية. وتضم مجموعة الشيوخ أيضا: "البراح" الذي يقبض المبالغ المالية من المتبرعين ويبرح مقابل طلباتهم. أما أدواتهم فهي الطبل أو "البندير" أو "الدق" والمزمارة أو "الكلال" (بكاف معقوفة) أو "الغايطة" والقصب (قصبه بها تقوب ينفخ فيها المغني وتحدث صوتا وفق الإيقاع الذي يريده) والناي المصنوع من قرون الماعز أحيانا. وفي الغالب يلبس "الشيوخ" لباسا موحدا يتمثل في عباءات فضفاضة بيضاء أو زرقاء أو ... تسهل عليهم حركات الرقص، و يضعون فوق رؤوسهم عمامات بيضاء أو صفراء، وقد يعلقون حقائب وسكاكين صغيرة.

(8) - يرمز الطبل في الثقافة الشعبية إلى التسرع في اتخاذ القرارات، وإلى إشاعة الخبر والمبالغة فيه لتسويه سمعة شخص آخر قد يكون بريئا. والأمثلة الشعبية في هذا كثيرة منها: "مَا كَبَسَمْعُ مَنْ الطُّبْلُ غَيْرَ التَّنْكِيرِ". التذكير: لهجة عامية معناها النقرة الخفيفة للطبل. ويرمز الطبل أيضا إلى شخص يكثر من الكلام الفارغ دون فائدة، فيقال عنه: "بَحَالُ الطُّبْلُ جُوفُهُ خَالِي، وَصَوْتُهُ عَالِي" وأيضا: "هَذِي طَرَبْلَا وَذَنِينُ وَطْبِلْ مُشْرَكْ". يقال في المرأة التي لا تكتم الأسرار وتنتشرها بين الجميع. ويرمز الطبل كذلك لشخص تعرض لضرب مفرط بسبب ارتكابه لخطأ أخلاقي، كما في هذا المثل: "أَكَلَ مَا أَكَلَ الطُّبْلُ نَهَارَ الْعِيدِ"، ويشير أيضا إلى عدم القناعة بالقليل كما يلمح من هذا المثل: "اللِّي مَا طَبْلُ فِي الْبَنْدِيرِ لَكَبِيرُ مَا يَشْبَعُ حَضْرَهُ". حضرة: معناه الجذبة والوجد في المفهوم الصوفي. ويدل الطبل أيضا على نكران الجميل كما في هذا المثل: "مَ اللَّي كَيْتَهَرَسْ أَكْوَالُ كَيْتَفَرَقُوا اللَّعِبَاتِ". أكوال: أداة للتطيل في المناسبات مصنوع من طين وخزف، ويقال هذا المثل فيمن يكون الناس يتهافون على منزله بكثرة للترفيه عن النفس، وعندما يقع في ضائقة مالية يبتعدون عنه ولا يجد منهم من يواسيه ويخفف عنه ما ألم به. وقد يقال المثل في صيغة أخرى: "وَقَتَّاشُ يَتَهَرَسْ هَذَا لَكْوَالُ وَيَفَرَقُوا اللَّعِبَاتِ؟" وذلك عندما يرى من يحيطون به من أسرته وقربائه يستنزفونه ماديا، ولا يهتمهم منه إلا المال، فيتمنى الموت ليتخلص من هذا الوضع.

(9) - تدل "الغايطة" أو المزمارة، و"الغياط" في الثقافة الشعبية على عدم الانتباه والأخذ بالنصيحة: "كَاعُ اللَّي زَمَرْنَا مَشَى مَعَ الْوَالِدِ". كما تدل على شخص قبيح الصورة فيقال عنه "بَحَالُ حُنُوكُ الْغَيَّاطُ" أي أن حنكيه (خديه) يشبهان "الغياط" حينما يكون ينفخ في المزمارة. ويرمز أيضا إلى شخص في أشد الغضب تجاه آخر أكثر عصبية، فتنهائهما بأن لا يتمادى معه أو يجاريه في ذلك كي لا تتطور الأمور إلى الأسوأ وتقول له: "طَيِّحْ عَ الْغَيَّاطُ". "طَيِّحْ" لهجة عامية معناها طيِّح أي أنقض وخفض. وتدل "الغايطة" أيضا

على التشهير بالشيء كما في هذا المثل: "أَجِي نَسْرَقُ بِالطَّبْلِ، وَالْغَيْطَةُ تَسْتَرِنَا"، أي نسرق بالضرب على الطبل والنفخ في المزمار. ويدل المزمار أيضا على شيء أو شخص لا قيمة له ولا تبالي بما يقوله. يقول الشاعر:

تراه إذ ينفخ في المزمـار *** تحسبه في رتبة السردار

يجتذب العاقل والنيبها *** ويعشق الجاهل والسفيها. (للمزيد من الاطلاع تنتظر: إبراهيم حافظ (ت. 1350-51هـ / 1932م): ديوان إبراهيم حافظ. ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1987، ص: 63.)

(10)- يقول المثل الشعبي: "لَعْرُوسَةٌ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ مَا عَرَفَ حَدَّ فَيْنَ تَرْسِي".

(11)- للمزيد من الاطلاع أنظر: د. الجيلالي الغرايبي: المرددات الشعبية، إصدار معهد الشارقة للتراث، الطبعة الأولى، الشارقة 1439هـ/2018م، ص: 82.

(12)- امرأة تتفنن نقش الحناء للنساء وخاصة العرائس منهن. وقد أصبحت هذه الحرفة نشاطا حرفيا معاشيا بالنسبة للكثير من النساء، ولاسيما اللواتي يعشن ظروفًا اجتماعية صعبة. وهذه الحرفة تعرف انتعاشا في فصل الصيف، وفي الأماكن السياحية على مدار السنة.

(13)- هي عادة تعود على الأقل إلى القرن 18م حسب ما ورد عند أكبيل السوسي: "ومن البدع أيضا، اللبن الذي يتردد بين الزوجين ويشرب كل واحد منه...". م.س، ص: 92.

(14)- كان لباس العروس أثناء الحناء وفي ليلة الدخلة أبيضًا، ويتكون من حذاء وسروال وفوقه قميص يصل لحد الركبتين يستعمل لمسح دم البكارة، وفوقها توضع "الْجَطِيطَةُ" وهي لباس طويل أملس وناعم تلبسه النساء عادة تحت "البلوزة"، وتغطي العروس برداء شفاف أبيض يسمى بـ "الشَّاش". ومع مرور الوقت تغير شكل لباس العروس. أنظر مثلا الصورة التي تمثل نموذجا لصورة العروس في الملحق.

(15)- كان من عادة بعض القبائل في شرق المغرب أن يقف أخ العروس أمام أخته ولا يسمح للعريس بإخراجها إلا بعد أن يدفع مبلغا ماليا.

(16)- أكبيل، تنبيه، م.ن، ص: 98.

(17)- م.ن، ص: 99.

(18)- ورد في أحد المقاطع الغنائية: أَلْفَ هَنِيَّهٍ وَهَنِيَّهٍ يَا لَالَهُ *** وَلَعْرُوسَهُ فَالْعَمَارِيَّةَ يَا لَالَهُ، وأصبح اليوم إركاب العروس في "العمارية" عادة ضرورية حتى بالنسبة للفقراء.

(19)- الوزان الحسن بن محمد (ت. ق. 16/10): وصف إفريقيًا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الإسلامي 1983، ج 1، ص: 255. وقد حافظت عادة حمل العروس في الصندوق على وجودها إلى يومنا هذا، حيث لا يزال السكان في شمال المغرب — في تطوان مثلا — يضعون العروس في صندوق يحمله أربعة رجال، ومعهم بعض الفتيات، ويقصدون به المسجد لتتال بركات ودعوات الإمام، ثم يعودون بها إلى المنزل فتناولها أمها الحليب والتمر وتعطيها خبزة كرمز للخير والبركات ونجاح الحياة الزوجية، وتعطيها أيضا بندقية صغيرة كدلالة عن القوة المانعة للمشاكل، ولتجنب السحر الذي قد يوضع لها. وبعد سهرة غنائية يقدم فيها الشاي والحلوى تأخذ إحدى قريبات العروس ورقة وتتلو ما كان قد قيد بها من هدايا مع ذكر أصحابها.

* - تسمى هذه العادة بـ "تَسْغُوت" أو "تَغُوت" أو "إِغُوت" أي الهتاف والصياح ورفع الصوت بالغناء، ونرجح أن يكون المقصود هنا من الصياح هو "موال" أو "لَغُوت" في الثقافة الشعبية، بحيث جرت العادة كلما انتهى المغني من موال إلا وتبعته الزغاريد والصياح تعبيراً عن إعجابهم بذلك خاصة إذا كان الموال يتغزل بالمرأة. وجدير ذكره أن الموال على عدة أصناف: التغزل بالمرأة، ومدح الشخصيات، والتذكير بالماضي، إضافة إلى الرثاء والهزاء. والموال هو وسيلة للتعبير عن مشاعر الشخص تجاه آخر وبالتالي تبليغ وإيصال رسالة معينة، ولذلك كان "اللغاط" (صاحب الموال) يصعد إلى أعلى الجبل لسمع صوته للجميع، وهو بمثابة اعتراف بمشاعره والتماس للمساعد.

(20) - أكيل، م. س، ص: 100-101.

(21) - الغرابي الجليلي، م. س، ص: 88.

(22) - آلاَّه لَعْرُوسَه فَالْجَبَلُ الْعَالِي *** أَخْتِي وَبْنِي عَمِّي هُوْدُوها لي.

(23) - يقول أكيل: "وأيضاً كذلك نثر اللوز بعد العقد بدعة مكروهة". م. س، ص: 105.

(24) - م. ن، ص: 91.

* - السلهم أو البرنس.

(25) - ابن عرضون، أبو العباس أحمد بن الحسن (ت. 992هـ/1584م): مقتع المحتاج في آداب الأزواج. مخطوط بالمكتبة الوطنية، الرباط، عدد ك 1026، ص: 111. دراسة وتحقيق عبد السلام الزباني، دار ابن حزم ومركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الطبعة الأولى (1430هـ/2010م). وقد اعتمدنا على النسخة الأصلية (المخطوط).

(26) - هي إشارة واضحة إلى الانقسام الذي كان وما يزال يميز الحكومة والدولة ككل والمتمثل في وجود مؤيدين ومعارضين للجهاز الحاكم.

(27) - رواية شفهية ومعاينة ميدانية.

(28) - ابن عرضون: مقتع، م. س، ص: 111. وقد ورد في أحد المقاطع الغنائية:

"مَزِينَهَا سَكْرَ مَعْ فَرَحْ لَحْمَامْ *** أَكْبَى الْكَاسْ وَجَاوِبِينِي بِالْكَلامْ".

وأيضاً: "مَا نَخْدَمُ مَا نَدِيرُ الدِّيوانْ *** غَيْرُ السَّكْرَهْ وَلَمَبَاتَه بَرَّ".

(29) - الهبطي عبد الله بن محمد الصنهاجي (ت. 963هـ/1556م): الألفية السنية في تنبيه الخاصة والعامة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية. إعداد وتقديم: محمد ستيتو، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، مطبعة شمس، ط 1، وجدة 1997، ص: 37-38.

(30) - تنبيه الإخوان، م. س، ص: 93.

(31) - ابن عرضون: مقتع، م. س، ص: 109.

(32) - لا تزال بعض القبائل تحافظ على هذه العادة مثل قبيلتي لمهاية وأولاد سيد الشيخ ... في شرق المغرب. وقد قدم لنا مورالييس وصفا هذه الاحتفالات عند بعض قبائل الشمال في القرن 19م. للمزيد من الاطلاع، تنظر: المغرب المجهول، ج1، ص: 143.

(33) - (ابن) الحاج محمد العبدري الفاسي (ت. 737هـ/1336-37م): المدخل إلى تنمية الأعمال، مكتبة دار التراث، القاهرة، دون تاريخ، ج1، ص: 245.

(34)- م.س، ص: 102.

(35)- لمدجة: القلادة التي تضعها المرأة لتزين بها عنقها ونحوها، وهي مكونة من عدة خيوط من الجواهر الثمينة المتشابكة. هذا المثل يقال من امرأة أعارت شيئاً لامرأة أخرى وتحذرها من أن يضيع منها. وقد تمّن عليها بما أعارتها وهي تستعمله أمام النساء، حبا في الظهور بينهن. وكان الحلي من بين شروط الزوجة على الزوج، ومن بين أسباب الطلاق، حتى قيل: "حَلْنِي وَإِلَّا خَلْنِي". وهو مثل تطلب فيه المرأة من زوجها أن يشتري لها الحلي لتتزين به، أو يخلي سبيلها، أي يطلقها. ومع ذلك فكثير من النساء كنا لا نجد من يقبل عليهن، وكثير من الرجال كانوا لا يفضلون هذا الصنف من النساء كما يفهم من هذا المثل الشعبي: "شَطَّاحَه بَاخْسَه، جَهْدَهَا قَطْعُهُ، وَحَدَّ مَا عَجَبْتُهُ"، وهو مثل يقال في المرأة تشقى وتتعب نفسها لتثير إعجاب أحد الرجال ولكن بدون جدوى.

(36)- ورد سؤال عن كيفية تلقي الزوج لزوجته ليلة البناء بها. فكان الجواب أن الزوج ينبغي له أن يكون "بأعلى ما يمكنه من الحسن والخلق الموجب للمحبة والمودة، لا سيما في أول الملاقاة في ليلة البناء". أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني (ت. 1342هـ / 1923م): النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسمى ب"المعيار الجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب". قابله وصححه الأستاذ: عمر بن عباد، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبعة 1417هـ/ 1996، ج 3، ص: 257.

(37)- يسمون ب"الوزير" أي الوزراء. يتكفون بحماية العريس ويمنعون أيا كان من الاحتكاك به تجنباً لوضع شيء ما في ملابسه أو أخذه منها بهدف منع تواصله الجنسي وتعطيله. وعادة "الوزير" المحيطين بالعريس هي إشارة إلى الوفود السياسية والعسكرية التي كانت ترافق السلطان أو الحاكم أثناء تنقلاته وحركاته، وإلى الحماية والحراسة التي يحظى بها.

(38)- للمزيد من الاطلاع، تنظر: ابن عرضون: مقنع، م.س، ص: 29 وما بعدها. وقد يكون الوزير امرأة.

(39)- أكبيل، م.س، ص: 103.

(40)- ابن عرضون: مقنع، م.س، 208، والوزان، م.س، ج 1، ص: 199.

(41)- ابن عرضون: مقنع، م.س، 208.

(42)- هو ثوب أبيض به نقط من الدم تدل على عذرية العروس. يقول الوزان: إن الزوج يسلم لامرأة [وزيرة] ثوبا ملطخا بالدم، فتذهب المرأة، والثوب بيدها، إلى المدعوين تعلن لهم بأعلى صوت أن العروس كانت بكرًا. م.س، ج 1، ص: 256.

(43)- ابن عرضون: مقنع، م.س، 208.

(44)- م.ن، والمكان نفسه.

(45)- "التَقَافُ" أو "الرِّبَاطُ" هي عملية سحرية تستخدم لمنع التواصل الجنسي وتعطيله باستخدام القفل أو السكين بحيث يقترب الجاني من العريس من الخلف ويناديه باسمه وحينما يلتفت إليه يغلق القفل أو السكين وهو يتلو التعويذة التالية "ربطت فلان بن فلان" أو "تَقَفْتُ فلان بن فلان"، وقد يتم ردم القفل أو السكين في الحد الفاصل بين قطعتين أرضيتين أو يتم رميهما في بئر عميق حتى لا يعثر عليهما أحد.

ويستعمل "التفاف" كذلك لإبطال الزواج. (عن ع. الو. أحد الحزّابين البالغين من العمر سبعين سنة). وللمزيد من الاطلاع في موضوع "الربط والتفاف" في بعض مناطق العالم لعربي ومنها بلدان المغرب العربي، راجع:

Khaznagi Mohamed Adel, Rites magico-Sexuels ; le R'bat et le tasfih, C.A.T.P.N°6, 1977, P 75-82, p.7

(46) - أكبيل: تنبيه ، م.س، ص: 100.

(47) - ابن عرضون: مقنع، م.س، ص: 250.

(48) - المكان نفسه.

(49) - هي المرأة التي لا يقدر الرجل على فض بكارتها. فقد سئل أحد الفقهاء "عن متزوج زعم أن الزوجة لا يمكن جماعها لالتصاق المحل والتحامه، وأخبر رجلا من جيرانه بذلك، والرجل أخبر بذلك والدها، فقال له: قل له يمهل حتى نبحث في ذلك [...] فأجاب تؤجل الرتقاء للدواء بالاجتهاد، ولا تجبر عليه إن كان خلقه ...". المهدي الوزاني، النوازل، م.س، ج 3، ص: 425.

(50) - أي حجر صلب يصعب ثقبه. وقد عمل المخيال السحري جاهدا لحماية بكاره الفتاة قبل الزواج بعدة طرق، من بينها التصفيح الذي يمنع التواصل الجنسي ويعطله باتباع ثلاث تقنيات: التصفيح بالمنسج بربط وترتيب خيوط المنسج بطريقة معقدة. والتصفيح بالسيف، والتصفيح بالقفل. ويتم ذلك بحضور الفتاة قبل سن الزواج والعجوز التي تقوم بمراحل عملية التصفيح. وشخص ثالث يقوم بتلاوة التعويذة أو الكلمات التي ستردها الفتاة وهي: **"أنا حيط، وهو خيط"** : أي أنا الصلابة وهو الليونة، أنا القوة وهو الضعف، أنا القدرة وهو العجز. ويتم فك التصفيح يوم زفاف الفتاة بترديد عكس الجملة أو الكلمات: **"أنا خيط، وهو حيط"**، وبحل العجوز نفسها أو عجوز أخرى تحمل نفس الاسم للقل حيث تدبر المفتاح في اتجاه الفتح والفتاة تردد الكلمات المعتادة سبع مرات وتتناول سبع زبيبات. ويفك التصفيح بالسيف بضرب الفتاة بالسيف برفق سبع مرات على ردفها الأيمن. ويوضع السيف على الأرض وتخطو الفتاة فوقه من اليمين إلى الشمال سبع مرات. وتأخذ العجوز شفرة حلقة تجرح بها الركبة اليمنى للفتاة ثم تسمح دم الجرح بسبع زبيبات جافة، تأكلها الفتاة وتردد: **"أنا خيط وهو حيط"**. للمزيد من الاطلاع أنظر:

G.Durand, les structures anthropologiques de l'Imaginaire, Bordas, 1969, p. 230 et 369.

وأيضا: P.Bourdieu, sociologie de l'Algérie, PUF, Paris, 1958, p. 87.

وأيضا: يمينه هلال: الموروث السحري: طقوس العبور أنموذجا (مقال)، مجلة الموروث، العدد 7، ستمبر 2017، معهد الشارقة للتراث، ص: 20 - 22.

(51) - المهدي الوزاني، النوازل، م.س، ج 3، ص: 240.

(52) - وردت أسئلة عديدة عن اكتشاف سقوط البكاره ليلة الدخلة. للمزيد من الاطلاع تنظر: عيسى بن علي الحسني العلمي (ت. 1127هـ/ 1715م): كتاب النوازل (نوازل العلمي). تحقيق المجلس العلمي بفاس، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1406هـ/ 1986م، ج 2، ص: 136. وساد الاعتقاد أن خمسة أسباب قد تؤدي إلى ضياع بكاره البنت وهي: **"إما بقفزة، أو رفعت شيئا ثقيلًا، أو ركبت حمارا**

بغير بردعة، أو وقعت من شيء مرتفع مثل حائط أو شجرة، أو ما أشبه ذلك، أو ولدت في المحرم". المهدي الوزاني، النوازل، م. س، ج 3، ص: 241.

(53)- عادة يرقص الرجال بالرجلين مع تحريك الأكتاف على إيقاعات الدف (البندير). ويختلف شكل ونوع لباسهم والأدوات التي يحملونها حسب نوع الرقصة المطلوبة. بعضهم كان، يرقص عاري الرأس. (ابن الحاج، م. س، ج 3، ص: 117)، وبعضهم يلبس عباءة ويضع عمامة فوق رأسه، وبعضهم يحمل بندقية أو "فردية" وخاصة في رقص المجموعات، وجرى العادة أن يحمل الراقص عصا في يديه يحركها حسب حركاته ويتكى عليها أحيانا خاصة حين يأمر الطبال بضرب الدف حسب الإيقاع أو الميزان الذي طلبه أو ما يسمى بـ "لَحْسَاب" في الثقافة الشعبية. ويتكون "لحساب" من "البُتْ أو الصَفْلَا" وتعني ضربة واحدة. و"السَّبَيْسِيَا" وتعني ضربتين. و"عَرَايَشِيَّة" وتعني ثلاث ضربات. و"خَمَائِسِيَّة" وتعني خمس ضربات. و"السَّكْتَة" أو "السَّكَات" من كلمة السكوت، وهي التوقف المفاجئ للراقص و"الشيوخ" بطلب من الراقص. و"التَّزْلُوجِيَّة" حيث يأمر الراقص الشيوخ بتسريع ضربات البندير ويسايرها بهز أكتافه أو جسمه ككل. وإذا أخطأ الطبال في الميزان يغضب الراقص وقد يُعاقب بضربة عصا. يختتم الراقص لعبته بـ "اللَّغْطَة" تعبيراً عن انتصاره (اللغة نداء يردده وتردده الجبال أو الجدران)، ثم يدفع مقابلاً مالياً للشيوخ، ويبرح البراح وتزغرد النساء افتخاراً به وتشجيعاً له.

(54)- نسبة إلى قبيلة بني يعلَى بإقليم تاوريرت وجرادة شرق المغرب. تتميز رقصة "لعلوي" باستعمال الأرجل أكثر من الأكتاف حيث يعمل الراقص على القفز يمينا ويسارا وأيضاً التقدم إلى الأمام والتراجع إلى الوراء وكأنه في حالة نزاع أو صراع يهدف بتلك الحركات خصمه ويخيفه ويستعد للقتال.

(55)- نسبة إلى قبيلة بني منكوش قرب تافوغالت، وأيضاً إلى منطقة الركادة القريبة من مدينة بركان شرق المغرب. يرقص الراقص وحيداً أو في مجموعة باستعمال الكتفين والصدر والاندفاع نحو الأمام بشكل خفيف، وحاملاً عصا أو بندقية في يده في إشارة واضحة إلى شجاعة المحارب باعتماده على الهجوم في محاربته للعدو.

(56)- نسبة إلى قبيلة أولاد نَهَارْ قرب أحفير عمالة بركان شرق المغرب، وتتشابه مع رقصة "المنكوشي". وخلال هذه الرقصة يعمل الراقص على التمايل بجسمه وخاصة أكتافه يمينا وشمالاً في انسجام مع إيقاعات ضربات الطبل.

(57)- نسبة إلى مدينة تازة، ويعمل خلالها الراقص على استعمال الجزء العلوي لجسده: البطن والكتفين والرأس. وهذه الرقصة شبيهة في إيقاعاتها بـ "الجدبة" أو "الحضرة" التي تستعمل في مواسم الأولياء والصالحين.

(58)- أكبيل، م. ن، ص: 105.

(59)- م. ن، والمكان نفسه.

(60)- الوزان، م. س، ج 1، ص: 257.

(61)- م. ن، والمكان نفسه.

(62)- رواية شفوية.

- (63) - "سئل سيدي محمد بن الحسن بن عرضون عن قوم يذبحون في ولائم أعراسهم بقرا ومعزا، يذبحها من يشرب الخمر، ويتركون الصلاة، ويحضرون الخمر عند الأكل...". المهدي الوزاني، النوازل، م.س، ج 3، ص: 556. وتنتظر أيضا: ابن عرضون، مقتنع، م.س، ص: 109.
- (64) - الألفية السنية، م.س، صص: 23 و 32 و 33 و 37.
- (65) - الوزان، م.س، ج 1، ص: 256.
- (66) - ابن الحاج، المدخل، م.س، ج 1، ص: 227.
- (67) - م.ن، ج 2، ص: 60.
- (68) - الوزان، م.س، ج 1، ص: 256.
- (69) - المهدي الوزاني، النوازل، م.س، ج 3، ص: 397.
- (70) - ابن الحاج، م.س، ج 1، ص: 292.
- (71) - أبو الإصبع الجياني، ديوان الأحكام، م.س، ص: 195.
- (72) - وصلت قيمته عند الأغنياء والشرفاء وأبناء الأسر الحاكمة إلى تفويت أراضي ومزارع. فقد عثرنا على رسم بمتحف البطحاء بفاس المغربية يشير إلى أن لالة مريم بنت المولى إسماعيل حصلت على جنان بسجلماسة كصداق في زواجها بتاريخ 26 ربيع الأول عام 1122هـ/1710م. ويشير رسم آخر إلى أن السيد الطيب بن الشريف عبد القادر السجلماسي دفع خمسين مثقالا كصداق أثناء زواجه من خديجة بنت المؤذن عبد الرحمان بن سيدي محمد عزرين في 23 شعبان عام 1222هـ/1807م (يوجد الرسمان في متحف البطحاء بفاس). بينما نفى الوزان أن يكون الناس في وقته (أواخر ق 9هـ/ومطلع ق 16م) يعطون عقارا أو أرضا أو مزرعة في الصداق. (م.س، ج 1، ص: 254). وبسبب الغلاء دعا بعض العلماء والشيوخ إلى عدم المغالاة في المهر وتكاليف الزواج. (التمكنوتي محمد بن ناصر الدرعي (ت.1085هـ/1674م): الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية، طبعة حجرية، فاس، بدون محقق وبدون تاريخ، صص: 4 - 5).
- (73) - المجذوب عبد الرحمان بن عياد (ت.976هـ/1568-69م): القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دون تاريخ، ص: 38.
- (74) - من عقود الزواج في مطلع القرن العشرين بمدينة العيون سيدي ملوك شرق المغرب، وتنتظر كذلك: الوزان، م.س، ج 1، ص: 254 - 255.
- (75) - الحوالة السليمانية، مكروفل، المكتبة الوطنية، بالرباط، رقم 162، ص. 534.
- (76) - م.ن، ص. 535.
- (77) - الخلافات بين شخصين متجاورين، أو وبين شخصين تجمعها قرابة، أو بين دوار وآخر، أو حتى بين قبيلتين. وتحكي الرواية الشفوية أن شيخ القبيلة أو أحد أعيانها أو كبير الدوار أو الفقيه كان يتكلف بمرافقة صاحب العرس إلى خصمه لاستدعائه إلى حفلة الزفاف حيث يتم الصلح بينهما. وفي حالة الخلاف بين دوارين أو بين قبيلتين فإنه يتم تشكيل وفد من دواوير وقبائل أخرى لإحضار شيخي القبيلتين وبعض أعيانها إلى دار العرس، خاصة إذا كان عرس أحد الأغنياء أو الأعيان أو شيخ القبيلة، حيث يتم الصلح.

(78)- وضع الوزان مقارنة بين أعراس الفقراء والأغنياء فقال: "تتضي العادة في مثل هذه الحال أن يأكلوا لحوم البقر والغنم، والدجاج المطبوخ المضاف إليه مختلف الخضر. توضع أمام المدعويين اثنتا عشر قصعة كبيرة فوق مائدة مستديرة من خشب، يكفي طعامها عشرة أو اثنا عشرة شخصا. [...] تلك هي عادة الأعيان والتجار. أما وجبة الطعام لعامة الناس فيقدم فيها ثريد مصنوع من خبز خفيف يشبه الشرائط ويغمس في مرق لحم مقطّع قطعاً كبيرة. يقدم الثريد في إناء كبير تسبح فيه قطع اللحم، ويأكل المدعوون بأيديهم دون ملاعق، بمعدل عشرة أشخاص حول كل إناء." م.س، ج 1، ص: 257. ويوضح ابن عريضون هذه الفوارق حين وصف بعض العادات قائلا: "وما جرت به عوائد بعضهم والاجتماع في الوليمة بالطعام على جهة التكلف والتصنع والفخر والمباهات [المباهاة] والعجب والرياء فيحتقرون طعام المساكين والفقراء ويغتابون صانعتة ويحتشم ربه ...". مقنع، م.س، ص: 112.

(79)- على سبيل المثال تعتبر المصادر المعاصرة للمولى إسماعيل ولابنه المولى عبد الله، للآخاتة واحدة من كبار الدولة العلوية وأحد وزرائها ومستشاريها. يخبرنا ابن زيدان أنها كانت تتوسط للرعيا عند زوجها المولى إسماعيل (ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي (ت. 1365هـ/ 1946م): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. تحقيق الدكتور: علي عمرن مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1429هـ/ 2008م، ج 3، ص: 26. ويشير الضعيف إلى أنها قامت بدور كبير في إصلاح الأمور بين السلطان المولى عبد الله والودايا حيث "تشفت فيهم عنده" في أواخر رمضان عام 1153هـ/ 1740م. كما قامت بدور فعال في إخماد ثورة عبيد مكناس واستمالة الودايا بفاس للحفاظ على ملك ابنها المولى عبد الله في جمادى الثانية سنة 1154هـ/ 1741م (الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي (ت. 1818/1233): تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة). تحقيق: أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط 1986، ص: 134.

(80)- مثل عادة الحليب التي يتم تبادلها بين العريس وعروسه والتي اقتبسها المغاربة من المسيحيين. أكبيل، م.س، ص: 92.

(81)- تتشابه الكثير من الطقوس والعادات بين بلدان المغرب العربي، كما في تونس والمغرب مثلاً. للمزيد من الاطلاع، أنظر: يمينة هلال، م.س، ص: 22 - 26.

المصادر العربية:

- إبراهيم حافظ (ت. 1350-51هـ/ 1932م): ديوان إبراهيم حافظ. ضبطه وصححه وشرحه ورتبه : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1987.
- (أبو) الإصبع عيسى الأسدي الجباني (ت. 486هـ/ 1075-76م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق. د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.
- أكبيل محمد بن علي بن إبراهيم السوسي (ت. 1162هـ/ 1748-49م): تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان. تحقيق: محمد ستيو. مراجعة: أحمد حدادي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 46، سلسلة بحوث ودراسات. 13، وجدة، 2001.

- التمكنوتي محمد بن ناصر الدرعي (ت. 1085هـ/1674م): الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية. طبعة حجرية، فاس، دون محقق ودون تاريخ.
- (ابن) الحاج محمد العبدري الفاسي (ت. 737هـ/1336-37م): المدخل إلى تمية الأعمال، مكتبة دار التراث، القاهرة، دون تاريخ، ج 4 أجزاء.
- الحوالة السليمانية، مكروفل، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم 162.
- ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي (ت. 1365هـ/1946م): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. تحقيق الدكتور: علي عمرن مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، ج 3.
- الضعيف محمد بن عبد السلام الرباطي (ت. 1233/1818): تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة). تحقيق: أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط 1986.
- ابن عرضون، أحمد بن الحسن (ت. 992هـ/1584م): مقنع المحتاج في آداب الأزواج. مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، عدد ك 1026. دراسة وتحقيق عبد السلام الزياتي، دار ابن حزم ومركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الطبعة الأولى (1430هـ/2010م). وقد اعتمدنا على النسخة الأصلية (المخطوط).
- العلمي عيسى بن علي الحسني (ت. 1127هـ/1715م): كتاب النوازل (نوازل العلمي). تحقيق المجلس العلمي بفاس، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1406هـ/1986م، ج 2.
- المجذوب عبد الرحمان بن عياد (ت. 976هـ/1568-69م): القول المآثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دون تاريخ.
- مولييراس أوغيست Moulieras Augueste: المغرب المجهول، الجزء الأول: اكتشاف الريف، ترجمة عزيز الخطابي، منشورات تيفراز ناء ريف، طبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007م.
- الهبطي عبد الله بن محمد الصنهاجي (ت. 1556م): الألفية السنية في تنبيه الخاصة والعامة على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية. إعداد وتقديم: محمد ستيتو، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. وجدة، ط 1، مطبعة شمس، وجدة 1997.
- الوزان الحسن بن محمد (ت. ق. 16/10): وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الإسلامي 1983، ج 1.
- الوزاني أبو عيسى سيدي المهدي (ت. 1923م): النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسمى ب"المعيار الجامع المغرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب". قابله وصحه الأستاذ: عمر بن عباد، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبعة 1996، ج 3.

المراجع العربية:

- الجيلالي الغرابي: المرددات الشعبية، معهد الشارقة للتراث، الطبعة الأولى، الشارقة 2018م.

المقالات العربية:

- يمينة هلالى: الموروث السحري: طقوس العبور أنموذجا (مقال)، مجلة الموروث، العدد 7، سبتمبر 2017، معهد الشارقة للتراث.

المراجع الأجنبية:

- Khaznagi Mohamed Adel, Rites magico-Sexuels ; le R'bat et le tasfih, C.A.T.P. N°6, 1977.
- G .Durand, les structures anthropologiques de l'Imaginaire, Bordas, 1969.
- P. Bourdieu, sociologie de l'Algérie, PUF, Paris, 1958.

روايات شفوية

- محمد تنينة البالغ من العمر 79 سنة.
- الوالى. ع. البالغ من العمر 70 سنة.